Jana
Amr
كابوس من الذاكرة
أيلول فهمي

كابوس من الذاكرة

أيلول فهمي

معلومات الكتاب

عنوان العمل: كابوس من الذاكرة

نوع العمل: قصة قصيرة (نوڤيلا)

اسم الكاتب: أيلول فهمي

تصميم الغلاف: چنێ عمرو

تعبئة وتنسيق: خولة أعبيد

صفحة الكاتبة: Ëylol Fahmy

تاريـخ الإصدار: 2024

حقوق النشر محفوظة للكاتب©

إهداء

إلى جدي الراحل رحمهُ الله..

وليس لنا في الحنين يدٌ تمسح الدمعَ

وما بين قلوبنا سوى الشوق والعناقِ

في البعدِ كان لنا ألفُ يدٍ تحمل الأملَ

ترسم الضحكةَ وتلمس الأحلامَ بالأشواقِ

سلامٌ عليكَ يا غاليًا.. افتقدتك جدًا

فقد طويتَ صفحات اللحظاتِ الجميلةِ

وعلى قلبِ الفراقِ نثرتَ آهاتِ الحنينِ

تركتَ الشوقَ يرتوي من دمعِ الأشجانِ

وعليَّ السلامُ فيما افتقدتُ من الحنانِ

وما زالت الليالي تنادي بصدى الغيابِ

أين أنتَ الآنَ يا من أشرقت قلوبنا بهاءً؟

فالوجودُ فارغٌ والأرواحُ تتيه في الأضلعِ

فأمضي بين ثنايا الوقتِ وأحلامِ اللقاءِ

أعيشُ الأملَ وأطوفُ في دواخل الأشواقِ

وعلى قلبِ الشوقِ ألوحُ بالأمانِ والسلامِ

وإهداء إلى رفيقتي وداعمتي الأولىٰ آمال عِماد وصديقتي فاطمة طارق،

وروميساء علي، ولرويدا السيد، ورُقية محمد

شكرًا لوجودكم في حياتي، ودعمكم المتواصل لي..

دمتم بخير.

المُقدِّمة

مرآة الحقيقة...

تتراقص الأقنعة على وجوهنا، متسكعةً في أروقة الوهم، نحن نلبسها بفخر، مُتصنِّعين الكمال، بينما تُنخر الندبات أجسادنا الباطنية.

ومفاجأةً، تتساقط الأقنعة، حجر حجر، كما لو كان الوقت قد توقف في لحظة الاكتشاف المُفزع. والحقيقة تنكشف أمامنا، عارية كالليل البهيم.

نحن مرضى نفسيون، كما لو كنا نصطاد أنفسنا في شبكة مُحكمة الصنع، بل، هي شباك ضعفنا الذي حاولنا إخفاءه طوال الوقت.

وها نحن، في لحظة الاعتراف الصامت، نُواجه كل الخوف والألم المكبوت، كيف لنا أن نظهر أمام الآخرين وقد تناثرت أقنعتنا، وانكشفت جراحنا؟

بقلمي: ايلول فهمي (آيو).

الفصل الأول: سأُعيد لكما ما فقدتماه!

هناك أعماق لا حدود لها تموج بها الظلمات المصبوغة بأحمر الدماء والحيرة، كأنها أفواه متفتحة لا تشبع، تتهدج بأنين الأرواح المرتعبة التي لا لجأ لها ولا مفر.

تلوح في الأفق صرخاتٌ كاتمة، تتلاطم مع أنين عويل الأرض المُنهكة، محاولة أن تشق طريقها إلى السطح، ليرى الناس ما يجب أن يُرى.

وفي تجاعيد الزمن المغبر، تتخفى وجوه مخلوقات غريبة تحدق بنا بعيون هاوية، كأنما تفتش عن ضحاياها التالية في هذا المستنقع اللامتناهي من اللامعقول.

وما زلنا نسير، كالأنعام المسوقة إلىٰ المذبح، دون أن ندري إلى أين تقودنا تلك الأصوات المرعبة والأيادي المخفية التي تجرنا إلى هاوية لا قرار لها.

***

كان إسحاق جالسًا في مكتبه المُظلم، يُمعن النظر في الملفات السرية التي بحوزته، لم يكن هناك مكان في هذا المكتب الصغير، إلا وكان يُغلفه الظلام والغموض؛ كأنه عالم آخر مُنفصل عن الحياة العادية، عمله كمحقق ليس من الشيء السهل وأحيانًا يُسبب له أذىٰ كبير، ولكنه لا يكترث، فقد اعتاد إسحاق على هذا الجانب المُظلم من حياته، ولم يكن أمامه سوى الاستمرار في طريقه الخطير.

فجأة، رن هاتفه. كان صوت زوجته الجميلة چنى مُرتبكًا وقلقًا: إسحاق، أنتَ فين؟ كل ده تأخير؟ أنا محتاجة لك دلوقتي فورًا...

رد إسحاق بهدوء: - في حاجه ضرورية يا حبيبتي؟ أنا مشغول جدًا الفترة دي وسبق وقلتلك، أنا هرجع للبيت متأخر..

تسابقت عبراتها تدريجيًا ونبست بصوت مختنق: -يعني شغلك أهم مني؟؟ أنتَ اتغيرت كده ليه؟ أنتَ عارف إني لوحدي بين أربع حيطان وده مسبب ليّ ضيق في التنفس واكتئاب حاد ومش مقدر!!ليه طيب؟"

قبضَ إسحاق علىٰ قلمه باستياء من حديثها المُعتاد، وأردف بنبرة حاول جاهدًا جعلها عادية ولكنه التمست منها الانفعال: -وأنا أعمل ايه؟؟ أنتِ من قبل ما تتجوزيني وأنتِ عارفة كويس جدًا طبيعة شغلي، وسبق

وقلتلك أنا مضغوط جامد الفترة دي وبرضو مُصِّرة تطلعيني وِحش وغلطان، ليه؟ مش عارف!!

فاض بها الكيل وهبت واقفة من فوق الفراش تصرخ به بشكل هيستيري وقتها التمس من نبرتها، نبرة انهيار:

-أنتَ ليه بتعاملني بالقسوة والجفاء ده؟؟ أنتَ بتعاقبني علىٰ حاجه ماليش ذنب فيها؟؟ أ-أنا زيي زيّك مضغوطة وتعبانة نفسيًا قبل جسديًا..

ثم تابعت بصوت مختنق ملؤه الدموع: - أنتَ ليه مش حاسس بيا؟ أنا تعبانة أوي!! احساسي بأني مش عارفه أبقىٰ أم مدمرني... قلتلك قبل كده أتجوز لو مش راضِ باللي بيحصلي..

وضع إسحاق هاتفه أمامه علىٰ سطح المكتب بعدما فتح مُكبر الصوت وكلماتها تنهال علىٰ مسامع قلبه قبل أذنه كالنِصال الحادة التي تشطرهُ لنصفين، كوّب رأسه بين يديه، يأخذ نفسًا عميقًا يلملم شتاته المُبعثر، والمُحطم، لكن لا جدوىٰ، مشاعره واحساسه بألمها وانهيار يطغىٰ علىٰ ذلك، فرت دمعة خائنة من عيناه وقال بنبرة هادئة حنونة:- يا حبيبة قلبي لا أنتِ ولا أنا لينا ذنب، وقلتهالك قبل كده مليون مرة، أنا مش مهتم أن يكون عندي اطفال أو لا، كفاية أنتِ عليا وجودكِ مكفيني وزيادة، وإحنا لسة صغيرين، في فرص كتيره بس أنتِ مش عايزة تتقبلي

وجودها، أفكارك السلبية محاوطاكِ وأنا مش عاوز كده، كل شيء بأوانه، ولو لقدّر الله ملناش نصيب في الخِلفة ده برضو عادي، ربنا هيعوضنا بالأحسن يا ستي..

جاءه ردها المُنهار والغاضب أيضًا:يمكن ده بالنسبالك عادي، بس بالنسبالي لا يا إسحاق، انا مش بحقد علىٰ حد بس...

تابعت ببكاء: أن الكل يكون عنده اطفال وأنا لا.... مدمرني...مضادات الإكتئاب مبقتش بتعمل حاجه.

ضرب إسحاق سطح مكتبه بغضب وصاح بها: مش أنا قلتلك بلاش تاخدي زفت مضادات اكتئاب؟ قلت ولا لأ؟؟؟ بعد كده أقعدلك بقا في البيت أشوفك بتسمعي كلامي ولا لأ؟؟ روحتِ إمتىٰ عند دكتور نفسي؟

قضمت أظافرها في توتر:-م مع أختي شيري!! هي مقدرتش تشوفني تعبانة ووديتني لدكتورة نفسية وكتبت لي العِلاج ده وبرضو مابيعملش حاجه "

شدد إسحاق علىٰ قبضة يده ونبس من بين أسنانه:-طيب اقفلي دلوقتي علشان متسمعيش كلمة تزعلك.. "

ابتلعت لُعابها في ارتباك وقالت:-طيب أنا عاوزة اقولك حاجه مهمة وياريت تسمعني..

شدد على خصلاته البِنية ونبس وهو يجِّز على ضروسه:

-اتفضلي...!!

-أختي قالت إن في مرأة معروفة وست شاطرة جدًا اسمها هِند بنت، هتقدر تساعدنا على حل مشكلة الخلف اللي بنعاني منها من ١٠ سنين !

حاوط إسحاق وجهه بكفيه وتنهد للخلف على ظهر كرسيه ثم سحب هاتفه بقوة وقال بصياح:

-نعم؟؟ عاوزاني نروح لنصابة نقولها بالله يا نصابة تعالي حليلنا مشكلة الخلف أصل مش لاقيين حد غيرك ... استغفر الله العظيم ، أنتِ ناوية تجيبيلي الضغط ولا السُكر ولا ايه نظامك، اسمعي! شغل دجل وشعوذة مش موجود في قاموسي لو انطبقت السماء على الأرض يا بنت نورا، سامعا ولا مش سـامعـة؟؟؟

أتاه ردها القاطع صارخةً بانهيار قبل أن تُحطم الهاتف:-خلاص اِعمل اللي تعمله، بس لما أموت متدخلش عليا يـا إسحاق...

انتفض من مكانه في قلق وهو يردد:-ألو... ألو... چـنـى!! ... ألوو... يا بنت المجنونة...

أخذ معطفه وركض بسرعة البرق لخارج المكتب أسفل هطول المطر الغزير والجو الراعد واستقل سيارته، ليشغل المُحرك لكن في هذه اللحظة يخذله الحظ للمرة التي لا يعلم عددها على التوالي، ضرب مقود السيارة بغضب شديد وظل يضرب رأسه بظهر كرسي القيادة وهو يلعن هذا الحظ البائس، مسح على وجهه والتوتر كسى ملامحه كليًا، ثم امسك هاتفه بيدي مرتعشتين وظل يمرر الأسماء في جهة الاتصال ليظهر امامه { Sherry, my wife's sister } وضغط على كلمة اتصال ولكن الخط كان مشغولًا فظل يكرر ذلك حتى أتاه الرد بعد استياء كبير، ليرد بلهفة: ألو.. شيري... أنتِ فين؟

أجابت شيري بقلق: إسحاق؟ غريبة أول مره ترن عليا في الوقت ده! في حاجه؟

تنهد إسحاق وقال في مضض: أنتِ فين؟

قالت شيري بهدوء يشوبه الاستغراب:-في البيت عند چنى، في حاجة؟

قال متلهفًا:

-إديهاني فورًا..

قالت شيري بهدوء:

-بتقولك مش عايزة تكلمك.

ضرب مقود السيارة بغضب وصاح بها:

-بقولك إديهاني...

بعد محاولة رفض متكرر من چـنى، ردت في مضض وصوت متحشرج من البكاء:

-أفندم؟؟.

قال إسحاق بحنان واضح مختلط بين الضيق والحُزن:- أنتِ متأكده إنها مش نصابة؟؟ أنتِ عاوزة صلاتنا تتقطع أربعين يوم؟ عاوزة ربنا يغضب علينا؟؟

أتاه ردها المتحشرج من البكاء:

-لا والله أبدًا، بس عاوزة أبقى أم يا إسحاق ، أنتَ مش متخيل كمية الوجع والخنقة إللي أنا فيها من ١٠ سنين عاملة فيا ازاي؟!

- عارف وحاسس وربنا، بس نعمل ايه؟ قدر الله وماشاء فعل.

- ونعم الوكيل ونعم النصير، بس أنا عاوزة أبقى أم.

تنهد إسحاق بضيق لم يكن مُقتنعًا على الإطلاق بهذه الأمور المُتعلقة بالسحر والشعوذة. "برضو يا چنى ، أنتِ عارفه كويس أوي إن أنا مش بآمن بالدجل والشعوذة، ليه منروحش لدكتور مرة كمان زي ما كنا بنروح ،قبل ما نروح الطريق ده؟"

لكن چنى كانت مُلحة:-من فضلك يا إسحاق! أنا حاسة إن دي هي الطريقة الوحيدة لحل مشكلتنا، أنا مش قادره استنى كمان عن كده.

صوتها كان يرتجف بالخوف والأمل في آن واحد، كأنها تحاول الإمساك بقش النجاة الأخير.

تنهد إسحاق بشدة ، كان يعلم أن رفض چنى لن يُجدي نفعًا:

-حاضر!! هروح معاكِ ، بس وقسمًا بالله لو طلعت وِليّة نصابة هعمل فيكِ إيه أنتِ وأختك؟ لهحبسكم وإرنكم علقة في التمام متحلموش بيها... أصلح العربية العطلانة دي وأجيلك متروحش في حتة...

تمتمت چنى بطاعة وهي تشعر بأنَّ السعادة تغمرها وأحيّت قلبها مرة أخرى، أنهت المكالمة معه وعانقت شقيقتها بحنان وسعادة لا تسع الغرفة أجنحتها، بينما إسحاق انشغل بتدوير سيارته التي لا تتزعزع من مكانها انشًا واحد.

وتمتم في غيظ:

-أنا عارف إن مش بيجي من ورا خلقتكم خير.... اي ده...

ما رأهُ صادمًا...!!

ما هذا حقًا؟؟ كيف دارت السيارة؟؟ أليست مُعطلة منذ قليل؟؟

فنبس إسحاق في ضيقٍ :

-ناقصة هي عفاريت على المسا.

غادر المكان وقد زوّد من سرعة السيارة وانطلق على الطريق السريع، وهو لم يلْحظ ذاك الشيء الذي يبتسم من وسط الظلام...

***

وصلت چنى وأختها شيري وإسحاق إلى منزل امرأة غريبة الملامح تُدعى (هِند بنت جابر) كانت جالسة على وسادة على الأرض، وحولها شموع مُوقدة وأدوات غريبة تُثير القشعريرة. كان منظرها مُخيفًا، شعرها الأبيض يتساقط على وجهها كنهر من الثلج، وعيناها تنظران إليهما بحدة كعيني ثعبان.

قالت هِند بصوت هادئ ومُخيف كهمس الرياح في الليل:

-نورتونا يا بشوات... كنت مِستنياكم.... تعالوا... خلونا نشوف شغلنا.

شعر إسحاق بارتباك شديد وقلق متزايد ، ما الذي ستطلبه هذه المرأة الغريبة منهما؟ وهل ستكون هذه الطريقة حقًا السبيل الوحيد لإنجاب طفل؟ قلبه كان ينبض بقوة في صدره، وشعر وكأن الظلام المُحيط به يتكاثف ويخنقه.

أما چنى فكانت حريصة على المتابعة، مُلتهبة بالأمل. عيناها اللتان كانتا قد ملأهما الدموع قبل قليل الآن تلمعان بحماس، وهي تنتظر بفارغ الصبر ما ستفعله تلك التي تدعى هِند بنت جابر

-أنتِ مستنيانا؟ طيب إيه متطلباتك؟..

سأل إسحاق بصوت متردد.

-مستنياكم من ١٠ سنين، مستنياكم على نار ، وكل إللي محتجاه منكم ... نُقطة من دمك وخصلة من شعرك. أجابت إسحاق ببرود، وابتسمت ابتسامة مُخيفة كابتسامة الجمجمة:

-ثم سأُعيد لكما ما فقدتُماه.

الفصل الثاني: الظِلّ المُترصد "عندما يتجرأ الموت على مواجهة الأحياء"

في ليلة صامتة كالقبر، حين يسود الظلام وتنطفئ الأنوار، تظهر وحوش الذاكرة والأشباح المخبوءة خلف أبواب النفس، كأنقاض متداعية، تنهار الحواجز وتتحرر الأشباح من قيودها.

يزأر الأسى بصوت مكتوم، كأنين الرياح في الخراب. تنبعث منه رائحة الألم المقيت، كرائحة اللحم المتحلل. تنبض عروق المآسي بلا هوادة، كنبض قلب مُصاب بداء عضال.

وفي تلك الظلمة الحالكة، تَلُوح سطوع أشباح الماضي كأشراس من عوالم أخرىٰ، يُزلزل صرخاتهم الأجواء، كزلزال يهز أركان الكون ، وتمتد أيديهم الشاحبة كأشباح مصلوبة، باحثة عن فرصة للإِنتقام.

أمام هذا الجحيم المَقيت، يبقى الإنسان وحيدًا ومكشوفًا، كضحية تنتظر ذبحها ، يرتعد كورقة في عاصفة، كأنه ذُبابة عالقة في شرك، وتتناثر دموعه كشظايا زجاج، كبراكين من الألم تنفجر في صدره المُتوجع.

***

شعر إسحاق بالرُعب يسري في أوصاله عندما سمع طلب هِند. إعطاء قطرة من دمه وخصلة من شعره؟ عيناه اتسعت من الصدمة، وشعر بنبضات قلبه تتسارع، ما الذي ستفعله هذه المرأة الغريبة بهما؟

-نعم؟؟ ايه السخافة دي؟ أنتِ جايبانا هنا تهزئينا ولا ايه؟.

نهضت شيري بتوتر من صياح إسحاق المُنفعل، قائلة بتهدئة:

-إهدئ بس إسحاق، لا تقليل ولا حاجة، سيب ستنا تشوف شُغلها.

أطلق إسحاق ضحكة ساخرة، واضعًا يديه بخصرِه، متمتمًا بين أسنانه بانفعال:

-ست مين يا عنيا؟؟ستها على نفسها..والله ما هنفضل دقيقة هنا.

ثم انحنى بجذعه العلوي محاولًا جذب زوجته استبرق، نابسًا بحزم:

-قومي نمشي من هنا، مش ناقصين جنان على المسا، الواحد فيه إللي مكفيه.

أوقفته "چنىٰ" وهي تقول له بعيون خاوية وجسد مرتجف:

-أرجوك كفاية.. أنتَ مش بتفهم؟؟ هنمشي إزاي وإحنا إللي جينا لهنا بنفسنا.

نظر لها إسحاق بدهشة ووضع يده علىٰ جبينها بقلق:

-حبيبتي، أنتِ كويسة؟ بصيلي الست دي دجالة، لازم نمشي من هنا.

ولكن صوت تلك المُريبة أسكته بل أخرسهُ كُليًا:

-طالما جيت هنا برجليك مش هتخرج غير بأمرهم.

لتكمل شيري هي الأخرىٰ وهي تقترب منه بطريقه أرعبته:

-أنتَ المُختار الوحيد..

دفعها بعيدًا وقال بعدما جهز نفسه لوضعية الدِفاع:

-أنتِ عملتي فيها ايه يا وليّة يا خرفانة أنتِ؟؟؟

ليشعر، بشيء لزج يخرج من الظلام الحالك ويتسلل ببطء علىٰ ظهره هامسًا بطريقة مُرعبة:

-پيدات كرديم (لقيناك).

***

صرخة فزع وطغت علىٰ الهدوء المُلتف بالمكان، لتقترب منه "چنىٰ " بقلق وهي تهزه ليفيق:

-إسحاق... إسحاق... رد أنتَ بخير؟؟

صرخ إسحاق وهو يبعد يدها عنه بهيسترية وجبينه يتصبب عرقًا:

-إبّـعـدوا عـني.

ما إن قالها زحف للخلف وهو يتنفس بصعوبة، لتقترب منه "چنىٰ " بقلق بالغ وهي تحاول تهدئته:

-إهدىٰ متخافش... خُد نفسك...

شيري وهي تُقرب منه كوب ماء:

-مالك مرعوب كده ليه؟.

هنا قطع تلك التساؤلات صوتها بهدوء مقيت يدب الرعب بأوصال إسحاق بالاخص صوت تلك (هِند بنت جابر) وهي تقول بهدوء مخيف كهدوء القبر:

-أتمنىٰ تكون وصلتك الرسالة يا إسحاق يا بن عزيزة.

أتكئ إسحاق علىٰ ركبتيه متسائلًا بذُعر يشوبه الريبة:

-عرفتِ اسم أمي منين؟؟

لم تكترث هِند لسؤاله ونظر لتلك الساعة المليئة بالغُبار التب تتوسط الحائط القديم:

-دقيقة بالضبط والساعة هتدق ١٢.. جاهزين للطقوس؟؟ ولا تستنوا ١٠ سنين كمان؟؟

نهضت "چنى " بعينين ممتلئتين بالدموع ونبست بترجي:

-لا طبعًا... إسحاق هينفذ الطقوس... مقدرش أتحمل ١٠ سنين كمان.

ثم وجهت نظرها بالكامل لإسحاق، لمع بهما بريق جعل إسحاق يزدرد لعابه وهو يشعر بشيء يطبق على أنفاسه حتمًا، فهز رأسه لا إراديًا وكأن شيء يتحكم به وليس هو:

-أيوة..

شعر وكأن يديه وجسده بالكامل مُقيّد لسببٍ مجهول.. هل هذا بسبب الخوف؟؟ أم هناك شيءٍ آخر يجهله.. ويجهل قوته الچحيمية؟؟؟

لم يكن مُقتنعًا على الإطلاق بهذه الطقوس السحرية، فكان ينظر إليها بارتياب شديد، متسائلاً عما إذا كان هذا الطلب مجرد خدعة أو سحر أسود حقيقي.

أما "چنى " فقد كانت مُلتهبة بالأمل، وكأنها وجدت الحل السحري لمشكلتها العقيمة. بادرت بإخراج شفرة حادة من حقيبتها وكأنها كانت على دراية تامة بالذي سيحدث!! أم كانت محض صُدفة لا أكثر؟؟

وقدمتها إلى هِند بنت جابر دون تردد، مُتشوقة لرؤية ما ستفعله:

-ده إللي أنتِ عايزاه؟؟

سألت بصوت مرتجف، مُتحفزة لرؤية السحر ينجح.

صمتت هِند بنت جابر للحظة، وعلى وجهها ظل غامض، ثم مدت يدها برفق وأخذت الشفرة بحذر:

-أيوة هو ده بالظبط إللي محتاجاه .

قالت بصوت هادئ كالموت، بدون تردد، وبحركات سريعة، قطعت خصلة من شعر إسحاق، ثم طالبت بأن يقطر قطرة من دمه على أحد الأدوات الغريبة الموضوعة أمامها.

إسحاق شعر بالاشمئزاز والخوف، وكاد أن يتراجع إلا أن چنى قبضت على يده بإحكام، لم يجرؤ على المقاومة، كان متشكك في كل هذه الأمور، ولكن إذا كان هذا الطريق الوحيد لإنجاب طفل، فسيضطر إلى السير فيه بالرغم من مخاوفه.

بعد أن جمعت هِند بنت جابر المكونات التي طلبتها، بدأت تُردد تعاويذ غريبة بلغة لا يفهمها إسحاق و چنۍ

تمسك هِند بمشعل مشتعل وهي تتمتم بأصوات خشنة وعيونها تلمع بنار الجنون:

-ای پسران جن، آیا ما او را یافتیم، ای پسران لیام

و خون بر توست، آن را ترک مکن.

ثم تقترب بخطوات بطيئة، وهي تمسك بخصلة شعر إسحاق وقطرة من دمه: - پیدات کردیم!!

ترش الدم والشعر على الأرض وترفع اليد باتجاه السماء.

ظلت تُحرّك يديها بطريقة مُخيفة فوق الأدوات، وكأنها تستدعي قوى خفية ، الشموع المُوقدة أصدرت صوتاً كالأنين، والهواء في الغرفة بدأ يشعر بالبرودة المُخيفة، مُرسلاً قشعريرة في ظهور الحاضرين.

فجأة، انطفأت جميع الشموع في آن واحد، وسيطرت الظلمة التامة على المكان. إسحاق و"چنۍ " شعرا بالخوف المُدقع، وسمعا صوت شيء ما يتحرك في الظلام، وصوت خشخشة أجنحة كأنما هناك كائن غريب يحلق في الهواء.

ثم صرخة مُخيفة اقتحمت السكون المُطبق. صرخة چنىٰ المُرعوبة.

-إسـحـاق!!إسـحـاق!! إلحـقـني، صرخت بصوت مُرتجف.

إسحاق حاول التحرك نحوها في الظلام، لكن يده اصطدمت بشيء ما. شيء بارد وصلب. وعندما لمسه، أدرك أنه شكل معدني غريب، ربما إحدى تلك الأدوات التي استخدمتها هِند في طقوسها. قلبه كاد أن يتوقف من الخوف والرعب.

ماذا فعلت هِند؟ ماذا جلبت إلى هذا المكان؟ وچنىٰ أين هي الآن؟ إسحاق شعر بالعجز والقلق على زوجته الغالية.

ولم يسمع أي شيء في المكان غير همس مقزز واحد يقول:

-پيدات كرديم، ولم يكن معناها سوىٰ" لقـيناك!!"...

***

هنا تبزغ البصيرة، كإشراقة فجر تطرد ظلمة الليل. وتتبلور الحكمة، كنبع ينفجر ليروي عطش الروح. وفي تلك اللحظة، يدرك الإنسان أن الألم والمعاناة هما اختبار للنفس، وأن الظلام هو مقدمة لفجر أجمل.

من رحم الخراب ينبثق الأمل، ومن وسط الأشباح تنبعث الحياة.

فليس هناك ظلمة دامسة لا تنفذ إليها شمس النهار، ولا هاوية عميقة لا يصل إليها نور الخلاص.

***

الفصل الثالث: "بداية الكابوس ": عندما أطلقت الظُلمة أشباحها"

في ليلة مظلِمة، أنا الضال السائر في دُروب الشعوذة والسحر المُوْهِم. أغْمَضْتُ عينيَّ عن هُدى الله وقَدَره، مُنْخَدِعًا بالوعود الزائفة للساحر المُزَيَّن بالكلمات الفَخْمَة.

غُرِرْتُ بالهاجس الشيطاني لِمُعالَجة همومي بالسحر، فأصبَحْتُ عَبْدًا للظلام تَسْتَعْبِدُني الأشباح والأرواح الخبيثة. أصوات الجن والعفاريت تَتَصَاعَد في آذاني، تَخْنُق صوت الحق وتَحُول بيني وبين النور.

واختبَرْت في بطن هذا الظلام الدامس آلام الخسارة والضياع، فتذَكَّرْت تحذير الحق الذي تجاهَلْتُه في ساعة الغواية. كم من الشقاء والعذاب لَقِيْتُه في طريق الشعوذة!

يا ليتني سِرْتُ في طريق الله وقَدَره، فلم أكن في هذا الظلام الحالك أُعاني من الرعب والضياع. أسأل الله أن يَهْدِيَني إلى صراطه المُسْتَقِيم.

***

اقشعر جسد إسحاق بالرُعب والخوف الشديد وسط تلك الظُلمة المحيطةبه ، كان يتخبط في المكان بيأس محاولاً العثور على زوجته الحبيبة چنى، لكن يده لا تلقى سوى الفراغ والأشياء الغريبة المنتشرة على الأرض. وسط الهدوء المقلق، استمر صوت خشخشة الأجنحة المتردد في المكان، مُرسلاً قشعريرة في ظهره.

فجأة، شعر بيد باردة كالموت تمسك بذراعه بقوة مخيفة،صرخ إسحاق من المفاجأة والرعب الشديد، لكن صوت هِند بنت جابر الهادئ والمخيف كصوت الموت هبط عليه كالسكين حاد.

-"متخافش يا إسحاق ، فهذا مجرد بداية الكابوس ، لكن الآن دورك قد حان.".

قالت ذلك بصوت شرير، ثم سحبته بعنف إلى الأمام ، شعر إسحاق وكأنه يُجر إلى مصيره المُظلم، شعر بالعجز التام عن الهرب أو المقاومة. كانت المرأة الغامضة أمامه تمتلك السيطرة المطلقة على الموقف.

فجأة، وسط الظلام المُخيف، بدأت الشموع تُعاود الاشتعال واحدةً تلو الأخرى، حتى امتلأ المكان بإضاءة باهتة مُرعبة. وبمجرد أن رأى إسحاق المنظر المُفزع الذي انبسط أمامه، شعر بأن قلبه كاد أن يتوقف من الرعب.

في منتصف الغرفة كان هناك دائرة من الرماد الأسود المُخيف، وفي وسطها شكل معدني غريب لا يشبه أي شيء رآه من قبل. كان يُصدر أصواتًا غريبة كأزيز الكهرباء أو همهمة كائن ما مُرعب. وبجوار هذا الشكل الغامض والمُرعب، اكتشف إسحاق بدهشة مُفجعة أن زوجته چنى كانت جالسة على الأرض، وكأنها في حالة شبه غيبوبة مُخيفة.

-عـمـلـتي فـيها إيـه؟!

صرخ إسحاق باتجاه هِند، غاضبًا ومُرتعبًا في الوقت نفسه من المنظر المُفزع أمامه.

ابتسمت هِند ابتسامة شريرة وشيطانية، ثم أجابت بصوت هادئ ومُخيف كصوت الموت لكنه لم يكن بالمِصرية العامية التي نعرفها ، لقد كانت لهجة غريبة لكن إسحاق فهمها :

-لا تقلق، فلن تُؤذى ، لقد دعوت قوى أعظم من مجرد البشر لمُساعدتنا، الآن دورك قد حان يا إسحاق إذا أردت أن تنجب طفلاً ، فعليك أن تدفع الثمن..

صدمة إسحاق كانت شديدة وغير مُتوقعة، وقف مرتجفًا أمام المشهد المرعب الذي انبسط أمامه. كان عليه أن يتصرف بسرعة لإنقاذ زوجته چنى من هذا الكابوس الرهيب.

ازداد خوفه وقلقه عندما سمع أقوال هِند المهددة. ما هي "القوى الأعظم من مجرد البشر" التي دعتها؟ وما هو الثمن الباهظ الذي عليه أن يدفعه للحصول على طفل؟ بدأ يشعر برُعب حقيقي مما قد يحدث له وللأشخاص الأعزاء عليه.

-السِت دي مش طبيعية!! تقصد ايه؟ وفين شيري؟ چنى بيحصلها ايه؟؟ أنا السبب، مكانش لازم أمشي في الطريق المعلون ده...

لم يكن لديه الوقت الكافي للتفكير، فقد سارعت بسحبه إلى الأمام مرة أخرى نحو الكائن الغريب المرعب في منتصف الدائرة، عندما اقترب منه، لاحظ أنه كان يصدر نبضات كهربائية غريبة وأصواتًا غامضة ومخيفة.

فجأة، ارتفعَ اللهيب من الدائرة السوداء المحيطة بالكائن، وأحس إسحاق بموجة من الطاقة الحارقة تنطلق منه نحوه. لم يتمكن من تجنبها والتي اخترقت جسده بقوة، مرسلة موجات من الألم والخوف عبر أوصاله. صرخ إسحاق بشدة، وشعر وكأن روحه تنفصل عن جسده.

-مِـش هرحـمك يـا هِند..!!!

هذا أخر ما قاله قبل أن يفقد وعيه.

***

بعد مرور وقت كثير جدًا لا أحد يعلم مدته بالضبط..

ولكن وقتها استعاد وعيه، وجد نفسه في مكان آخر تمامًا . لم تعد هناك شموع مشتعلة أو رماد أسود أو كائن غريب. بدلاً من ذلك، وجد نفسه في قاعة واسعة مظلمة، تنتشر فيها رائحة الكبريت والموت، في المنتصف، كان هناك عرش ضخم من عظام بشرية متداخلة، وعليه جلست امرأة شاحبة الوجه تضع على رأسها تاجًا مرعبًا .

عند رؤية إسحاق ، ابتسمت المرأة ابتسامة شريرة ومخيفة، ثم همست بصوت هادئ كصوت الموت:

-"أهلاً بك في عالمنا يا إسحاق لقد انتظرناك طويلاً."

تشنجت أعصاب إسحاق وهو يتكئ علىٰ يديه ورُكبتيه متسائلًا بذُعر وصوت متقطع:

- أ-أنتِ مين؟؟ "/.

رفعت بصرها نحوه ليُصاب إسحاق برعشة قوية كادت تُوقف قلبه، يا إلهي أنها تُشبهني.!!!

وقالت بصوتٍ خشن مُرعب جعل إسحاق يفتح عينيه علىٰ مصراعيهما:

-" أنا أنتَ يا إسحاق يا بن عزيزة..!!! أنا بداية كابوسك. "

***

في ليلةٍ ذاتِ ظلامٍ دامسٍ، استسلمتُ للوعودِ الزائفةِ للسَّاحرِ المُلمَّعِ بالكلماتِ الفخمةِ والوعودِ المُغريَةِ. أغمضتُ عينيَّ عن نُصحِ البصيرةِ التي حاولتْ تحذيري من مَكرِهِ وخداعِهِ.

وجدتُني أسيرًا في دوامةٍ من الغَيبِ والشَّعوذةِ، مُحاطًا بالرُّعبِ والرُّجَّةِ، أنظرُ إلى السّماءِ تَتَجَلَّى بالشُّهُبِ والأشباحِ المُرْعِبَةِ. أصوات الجِن والعفاريت تحيطُ بي من كُلِّ جانبٍ، تُخيفُني وتُلاحقُني في كُلِّ خطوةٍ أخطوها.

وأخيرًا، أدركتُ أنَّ ما وَعَدَني بِه السَّاحرُ كان مُجرَّدَ سرابٍ زائفٍ، بينما الحقيقةُ أنَّني أسيرٌ في عالمِ الظَّلامِ والشَّعوذةِ، أُعاني من ويلاتِها وأهوالِها. تحذيرُ البصيرةِ كان صَوْتَ الحقِّ الذي لم أستمعْ إليه.

يا لَيْتَني أنصتُ إلى نُصحِ البصيرةِ وَلَمْ أستسلِمْ لوعودِ السَّاحرِ الخادِعَةِ. كم من العذاباتِ والآلامِ التي عشتُها في عالمِ الشَّعوذةِ والظُّلْمَةِ! أسألُ الله أن يَهْدِيَني إلى طريقِ الحقِّ والنُّورِ.

_إسحاق.

***

الفصل الرابع: إنها الدُميّة

ارتعد إسحاق عند سماع تلك الكلمات المخيفة، كان قلبه ينبض بقوة وشعر بالرعب يسري في كل أوصاله. ما الذي ينتظره في هذا العالم الغريب والمرعب؟ ما هي القوى الشريرة التي أحضرته إلى هنا؟

المرأة الشاحبة ذات التاج المرعب لم تتحرك من عرشها العظمي، لكن عيناها الغامضتان ثبتتا على إسحاق بشكل مرعب. "أتدري لماذا أنت هنا، أليس كذلك؟" قالت بلهجة هادئة. "لقد أحضرناك لتكون جزءًا من خطتنا العظيمة، وسوف تلعب دورًا مهمًا في مصير هذا العالم."

إسحاق لم يستطع الكلام، مصدومًا بما يحدث. لكنه حاول استجماع شجاعته وسأل بصوت مرتعش وبلهجة تقرب للهجتها : "وما هي هذه الخطة العظيمة التي تتحدثين عنها؟ وما الذي تريدون مني بالضبط؟وأين زوجتي چنى؟. "

المرأة ضحكت ضحكة مخيفة: "كل ما عليك فعله هو أن تترك لنا السيطرة على عقلك ورُوحك، لن تشعر بأي ألم طالما تُنفذ ما يُطلب منك، وسوف تكون جزءًا من قوة أعظم من مجرد البشر،وأما عن زوجتك...لا تسأل عنها...فهي سبب هلاكك.."

شعر إسحاق بالرعب يغمره. ماذا سيحدث له إذا سلم نفسه لتلك القوى الشريرة؟ لن يكون قادراً على إنقاذ چنى، وفجأة، امتلأت قاعة العرش بضوء أحمر مخيف، واشتعلت اللهيب حول العرش. صرخ إسحاق بصوت مرتفع وأغمض عينيه، خائفاً مما سيحدث له.

***

في صمت الليل البارد، صرخات مكتومة تخترق ظلام الغرفة. على فراش متهالك، يتلوى جسد إسحاق وهو يناضل بيأس ضد قوى خفية تمزق كيانه. كان وجهه يكتسي بشحوب الرعب، وعيناه تبحثان بعجز عن شيء ما يمكنه أن ينقذه من هذا الكابوس المزعج.

زوجته چنى تراقبه بقلب مثقل بالقلق، لا تدري ماذا تفعل إزاء هذه الحالة المرعبة، تمنت لو أنها تمتلك القوة لمساعدته، لكنها عاجزة أمام سحر هذه الساحرة الخبيثة.

-إسحاق... إسحاق.. فوق!أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، ده كابوس فوق يا بني، أنتَ كويس؟؟.

عندما فتح إسحاق عينيه مرةً واحدة وهو يلهث من شدة الإختناق، وجد نفسه مستلقيًا على فراشه المريح في منزله. يشعر بألم في جميع أنحاء جسده، وهو مؤشر على ما لحق به من إصابة أو معاناة. كان وجه زوجته

چنىٰ مليئًا بالقلق وهي تنظر إليه بتأمل، فور أن لاحظت تحرك إسحاق وفتح عينيه، سارعت إليه بمحبة وقبلته على جبينه، وسألته بلطف عما إذا كان بخير:

-الحمدلله إنك بخير.. ليه تقلقنا عليك كده؟ مكنتش نقطة دم من صُباعك تعمل فيك كدة.

-نقطة دم؟ لحظة!! أ-أنا فين؟ و... أنتِ روحتِ فين لما الشموع انطفت؟؟عملتلك حاجه المجنونة دي؟؟

تبسمت چنىٰ على اهتمامه وأجابت:

-هختفي فين يعني؟ وشموع اي اللي بتتكلم عنها؟ من ساعة ما الشيخة أخدت منك نقطة دم لقيتك اتشنجت واغمىٰ عليك علطول بدون سبب، فاخدت انا وشيري ومشينا وجينا علطول علىٰ هنا.. هو أنتَ للدرجة دي بتخاف من المشايخ؟.

تنهد إسحاق بصدمة لم يستطع التحدث حينها، ولكنه حاول جاهدًا أن يظهر تفهمه واقتناعه بحديثها الذي يناقض مع حدث معه.. هل كل ما مرَّ به حُلم؟ لا... بل كابوس حتمًا.

ما أن إسحاق لبث أن أجابها بسرعة واستفسر عما حدث بإطمئنان وانّ أهم شيء أنها علىٰ ما يرام، وعانقها بحنان محاولاً طمأنتها.

وعندما سألها إسحاق بخوف عما فعلته "تلك الساحرة":-طيب وبعد كده حصل اي؟؟

أوضحت له چنىٰ أنها أعطتهم تميمة على شكل عروس صغيرة، وطلبت منهم تعليقها على أعلى شجرة في المنزل والانتظار حتى يحين موعد الخميس القادم، حينها ستكون لديهم أول مولودة...

-مولودة؟!!

همت بالرحيل ليمسك يدها عندما أثار هذا الخبر ذهوله ، إذ ساءله عن سبب اختصاصها بنوع الجنين بالتحديد، وكيف يمكن لساحرة أن تتحكم في مثل هذا الأمر. وفي تلك اللحظة، أصابه الرعب عندما رأىٰ تلك العروس غريبة الشكل، موشوم علىٰ جسدها بسائل يتمايل بين الأسود والاحمر الداكن نوعًا ما....

والأسوأ عندما وجد شعرها هو نفسه تلك الخصلة التي انتزعتها تلك الساحرة المُريبة

ودقق النظر اكثر فرأىٰ انعكاس تلك النظرة المخيفة لتلك المرأة التي حدثته في كابوسه.

-" اللعنة... ماذا يحدث.. لقد ساءت الأحوال أكثر!! ما يعني ذلك؟؟ أُقسم انّ ما يحدث ليس بالخير أبدًا.. "

فاقتربت منه چنى متسائلة باستغراب:

-أنتَ كويس؟؟؟ مالك مبحلق في العروسة كده ليه؟.

ازدرد لعابه في توتر وابتسم ابتسامة مهزوزة:

-لا.. أقصد اه أنا كويس..

-طب فل، هروح أجهز الأكل علشان أنتَ مأكلتش من امبارح والساعة قربت على ٣الفجر

وأنت روح علّق العروسة دي على الشجرة.

أومأ برأسه مرارًا وهو ما زال يحملق في هذه الدُميّة.. هذا حقًا مريب.

غادرت الغُرفة.. وشرع هو ليحاول فتح هذه الدمية أو محاولة فهم ما يحدث.

لكنه فشل.. كلما حاول فك شيئًا بها، يؤلمه جسده ويحرقه..

فهرع إلى المرآة ليزيل قميصه، ليجد على جسده آثارًا سوداء مماثلة للتميمة التي علقت على الشجرة.

-مستحيل!!

آثار سوداء غامضة تغطي جسد إسحاق كالوشم المحفور في لحمه. كأنها علامات بدائية تنذر بمصير مأساوي ينتظره. ما الذي يتربص به هذه الساحرة؟ ما هي خططها الشيطانية؟ ألا يكفي ما ألحقته به من عذاب جسدي ونفسي؟

في خضم هذا الموقف المُرعب، تبدو الظلمة مسيطرة تمامًا. والرعب كالوحش الكاسر ينهش عصب الأمل في قلب إسحاق.

هل سينجو من هذا الكابوس؟ أم أنه سيُجرف في متاهة السحر الأسود البائس؟

-أخبرتُك ألّا تحاول..

انتقض جسده بقوة وهو يستدير بسرعة البَرق، فلمح جسد ضئيل يجر دُميّة صغيرة تملك هيئة "دُب لُعبة" لونه بني اللون تجره خلفها.

شعرها الأسود المُبعثر يغطي جزء من وجهها العلوي ومفرود بشكل عشوائي على كتفيها

وعينيها البيضاء متسعتان بشكل مريب أزهق بقلب هذا المسكين بشدة..

ثوانٍ.. وسال من جفنيها سائلٌ أسود كمثل السائل المحفور به علىٰ جسد تلك العروس التي بيده.

واقتربت منه ببطء، وفجأة وجد جسده يهوي علىٰ الأرض بشكل لا إرادي وصعدت فوق صدره بأرجلها القصيرة وهو يحملق بها من شدة الفزع، لسانه يعجز عن النُطق، أطرافه باردة مثل الثلج، وهو مصدوم ومذعور بشدة حينما وجد تلك العروس "التميمة" تحولت لـ ذلك الـ "دُّب اللُعبة" الخاص بها كيف وصل ليده؟؟ماذا يحدث بالضبط؟؟

وهمست بينما هي تبتسم بفمها الواسع المشقوق:

-هل رأيت دُميتي؟؟.

الفصل الخامس: البحث عن الدمية

اهتز إسحاق بعنف عندما شعر بشيء ثقيل ينزلق فوق صدره. فتح عينيه ببطء ليرى مخلوقا مرعبًا صغيرًا يرتفع فوقه. كانت فتاة صغيرة بشعر أسود وبشرة شاحبة، لكن عيناها هي الأكثر إثارة للرعب - سائل أسود لزج يتدفق منهما بغزارة.

الفتاة كانت صغيرة الحجم، ربما تبلغ من العمر 8 أو 9 سنوات فقط. رغم صغر سنها، إلا أن مظهرها كان مرعبًا للغاية.

كان شعرها أسود كالحبر، ينسدل بكثافة على وجهها الشاحب. بشرتها شاحبة وباهتة تماما، وكأنها لم تتعرض لأشعة الشمس منذ زمن بعيد.

لكن الأكثر رعبًا في مظهرها كانت عيناها. كانتا واسعتين، بحدقتين سوداوين لامعتين. من هاتين العينين المفتوحتين بشكل مفزع كان يتدفق سائل أسود لزج وكثيف، ينساب ببطء على خديها الشاحبين.

الفم كان مفتوحًا قليلاً، كاشفًا عن أسنان بيضاء صغيرة وحادة. وعندما تحدثت، خرج صوتها خافتًا وخطيرًا، يحمل لهجة مرعبة.

-هل رأيت دميتي؟.

همست الفتاة بصوت خافت، وهي تقترب منه ببطء.

إسحاق شعر بالرعب يتسلل إلى أعماقه. لم يكن قادرًا على تحريك جسده، وكأن الخوف قد شلّ حركته. فقط حدّق في تلك العيون الرهيبة وهو يحاول التفكير في ما يجب عليه فعله.

-لا... لا معرفش عن أي لعبة بتتكلمي، همس إسحاق بصوت مرتجف.

ابتسمت الفتاة ابتسامة مخيفة:

-حسنًا، ربما ستجدها معي." قالت وهي تقفز من على صدره، ثم اختفت في الظلام.

إسحاق بقي مستلقيًا هناك لبرهة، قلبه ينبض بعنف في صدره. ما هذا المخلوق الرهيب الذي قابله للتو؟ وأين ذهبت؟ شعر بالرعب يسري في عروقه عندما تذكر عينيها المخيفتين وصوتها الخافت.

بعد لحظات، تمكن من الوقوف على قدميه ببطء. نظر حوله في محاولة لرؤية أي شيء في الظلام، لكن لم يكن هناك سوى الهدوء المطبق. ربما كان ما رآه مجرد كابوس. تنهد بارتياح نسبي واتجه ببطء نحو المخرج، عازمًا على مغادرة هذه الغُرفة الرهيبة في أسرع وقت ممكن.

خرج وهو يسير ببطء محاولًا إيجاد زوجته چنىٰ وظل يُنادي عليها بصوتٍ عالي انطلق من بين شفتيه المُرتعشتين:

-چنىٰ؟؟ چنىٰ... أنتِ فين يا حبيبتي؟؟

ولكنها لم ترد حتّىٰ.. أو بالأحرىٰ لم يجد لها أثرًا..

أصيب بالذُعر الذي كان علىٰ وشك اقتلاع قلبه من مكانه ... لم يجد سوىٰ سكين موضوعة بجوار قطع لحم نائية .. والذي جعله يرتد مُصطدمًا بالحائط، عندما لمح جمجمة خَروف ينزلق من عيناها المجوفتين سائل أسود لزج.

فقال بصوتٍ مرتعش- ونبرة أوشكت علىٰ البُكاء- في نفسه:

-چنىٰ!! الأمر لا يدعي المُزاح حسنًا؟ أخرجي حالًا.. أنا لا أشعر بالخير هذه الليلة.. چنىٰ!!.

ظل يُكرر حديثه بتريث لأي شيء قد يحدث، خُيّل له بأن زوجته ستخرج علىٰ الفور من خلف إحدىٰ الستائر تخيفه بحركاتها البلهوانية المُعتادة.. ولكن الأمر لم يكن كذلك..

ظل لوهلة أنهُ كابوس آخر داخل الكابوس الأول.. ويجب أن يفيق منهُ حالًا، ظل يضرب وجنتيه لعله يستيقظ قبل فوات الآوان.. لم يعد يستطيع تحمل أكثر من ذلك.

-ألم تجد دُميتي بَعد؟؟.

لم يكن ما رآه أو سمعهُ إسحاق مجرد كابوس فبمجرد أن وصل إلى المخرج وفتح الباب، رآها مرة أخرى - الفتاة الصغيرة المرعبة تقف في الممر، تحدق فيه بعيونها السوداء اللامعة -.

-هناك أنت يا صديقي، همست بصوت خافت مرعب. "لقد كنت أنتظرُك."

إسحاق شعر بالرعب يتملكه مرة أخرى. حاول الفرار، لكن الفتاة تقدمت نحوه ببطء، وكأنها تلعب معه.

-لا تذهب بعيدًا. ما زلت أبحث عن دُميتي." قالت وهي تقترب منه خطوة بخطوة.

إسحاق لم يعد قادرًا على التفكير. كل ما كان يريده هو الهرب من هذا المخلوق الرهيب. فأسرع بالخروج من الباب وركض في الممر بكل ما أوتي من قوة، هربًا من الفتاة المرعبة التي تطاردته.

لم يكن متأكدًا إلى أين يركض، ولكن عليه أن يبتعد عن هذا المكان بأي ثمن. وبينما كان ينطلق في الممر المظلم، سمع صوت الفتاة يصله من الخلف:

"لا داعي للهرب يا صديقي. سأجدك حتمًا!"

***

إسحاق واصل الركض في الممر المظلم، قلبه ينبض بعنف في صدره. لكن فجأة، سمع صوتًا يرتفع خلفه - صوت الفتاة الصغيرة وهي تغني بصوت خافت وغامض-

-ألا تريد أن تلعب معي؟" غنت بنبرة مخيفة: "سأساعدك على إيجاد دُميتي...".

إسحاق شعر بقشعريرة تسري في ظهره عند سماع تلك الكلمات. لم يكن يريد البقاء هنا لمواجهة تلك الفتاة المرعبة. زاد من سرعته، محاولاً الهرب منها بأي ثمن.

ولكن فجأة، سمع صوتها مرة أخرى، أقرب هذه المرة. كانت تغني بصوت أكثر ترنيما وعذوبة، كأنها تحاول إغواءه.

-تعال إليّ، يا صديقي..." غنت بصوت شبه مرتعش. "سأريك أين هي دُميتي..."

إسحاق شعر بالدوار يسيطر عليه، صوتها كان مبهرًا ومخيفًا في آن واحد.

لم يعد قادرًا على المقاومة تتباطأ خطواته رغمًا عنه، وشعر بجسده يتجه ببطء نحو الصوت المغوي.

-هناك أنت يا صديقي..." غنت الفتاة بنبرة مُنتصرة: "لقد وجدتك."

استمر إسحاق في التقدم ببطء نحو الصوت المخيف للفتاة ...

فجأة، لاحظ أنه يمر بين مرايا كبيرة مُتناثرة في الممر، وأدرك أنه لا يرىٰ انعكاسه فيها.

-أنا فين؟

تساءل بصوت مرتعش: ايه اللي بيحصل هنا؟.

ثم بدأت المرايا تتحرك بشكل غريب، وكأنها تحاول الالتفاف حوله. إسحاق شعر بالذعر ينتابه، وبدأ يركض بجنون محاولاً الهرب من تلك المرايا المخيفة.

لكن المرايا كانت أسرع منه. لم يكن هناك مكان للهرب. بدأت تغلق الطريق أمامه،

كلما اقترب إسحاق من المرايا، كان يرى انعكاسه في كل مرآة، ولكن بطريقة مشوهة ومخيفة. صورته في المرآة كانت مشوهة وغير طبيعية، كأنها لا تنتمي إليه.

في بعض المرايا، كان يرى وجهه يتحول إلى وجه شيطاني، مع عيون حمراء متوحشة وأنياب حادة. في مرايا أخرى، كان يرى جسده يتحول إلى شكل غير بشري، شبيه بوحش مفترس.

وكلما اقترب أكثر، كانت الصور في المرايا تصبح أكثر تشويهًا وبشاعة، في بعضها، كان يرى جسده ممزق ومشوه، وفي البعض الآخر كان يرى نفسه وقد تحول إلى مخلوق هجين، نصف إنسان ونصف شيء آخر مروع.

وكانت المرايا تتحرك بشكل غريب، كأنها تحاول الالتواء حوله وابتلاعه. إسحاق شعر بالخوف والذعر ينتابه، وشعر وكأن الحياة تتسرب منه تدريجيًا. لم يعرف ما الذي ينتظره في تلك المرايا المرعبة.

في كل مرة يرىٰ انعكاسه المشوه يتكرر في كل مرآة يصرخ أكثر بذُعر يقتلع قلبه من مكانه.

-لا! اتركوني!" صرخ إسحاق بذعر.

ولكن المرايا استمرت في تقدمها نحوه، وكأنها تريد التهامه، إسحاق شعر بالرُعب ينتابه، وشعر وكأن الحياة تتسرب منه شيئًا فشيئًا.

-أين أنا؟ ماذا تريدون مني؟" هتف في ذعر.

ولكن ما بجوف المرايا لم يرد، استمرت في التحرك نحوه بشكل مخيف، وكأنها تريد أن تبتلعه.

الفصل السادس: أنا مريض.. نفسي؟

إسحاق كان مذعورًا بشدة، يركض محاولاً الفرار من هذا العالم الغريب والمخيف للمرايا المتحركة. لكن كل محاولاته باءت بالفشل، فالمرايا كانت أسرع منه ولا مفر من قبضتها.

فجأة، شعر بأرضية تختفي من تحت قدميه وسقط في بئر عميق مظلم. كان سقوطه بطيئًا ومؤلمًا، وشعر بالرعب والإحباط يتملكانه. عندما وصل إلى القاع، وجد نفسه في غرفة عجيبة مليئة بالمرايا من كل الجوانب.

الغرفة بدت لا نهائية، وانعكاساته المشوهة تتكرر في كل مرآة. لم يعرف إسحاق ما الذي ينتظره هنا، لكن شيئًا داخله أخبره أن هذا ليس مكانًا آمنًا.

فجأة، بدأت المرايا تهتز وتتحرك بشكل غريب. إسحاق شاهد صوره المنعكسة تتحور وتتشوه إلى كائنات مرعبة. صرخ في رعب وحاول الهرب، لكن المرايا كانت تحاصره من كل الجوانب.

ثم ظهرت خلف إسحاق صورة ضخمة ومشوهة له. كانت تتقدم نحوه ببطء مهدد، وكأنها تريد التهامه. إسحاق شعر بالرعب ينتابه وصرخ بأعلى صوته:

-أنت مين؟ وعاوز مني ايه؟!

لكن الكائن المرعب لم يرد. استمر في التقدم ببطء نحو إسحاق، وكأنه يريد أن يبتلعه في عالم المرايا المشوه.

***

إسحاق حاول الهرب من الكائن المرعب الذي كان يتقدم نحوه ببطء في عالم المرايا المشوه، لكن كل محاولاته باءت بالفشل، المرايا كانت تغلق عليه من كل الجوانب، وكأنها تريد أن تحبسه هنا إلى الأبد.

فجأة، سمع صوتًا خافتًا يأتي من إحدى المرايا. كان صوت امرأة يتوسل إليه:

-إسحاق، أنت الوحيد الذي يمكنه إنقاذنا، لا تستسلم لهذا الكائن المرعب!

إسحاق تفاجأ بشدة، كيف تعرف هذه المرأة اسمه؟ نظر إلى المرآة وهناك وجه شاحب يحدق إليه بيأس

- أنتِ مين؟ وتعرفيني إزاي؟، سأل إسحاق بحيرة.

-أنا ليلى، أحد السجناء في هذا العالم الغريب، هذه المرايا تحكم علينا وتحبسنا هنا منذ زمن طويل. لكن أنت أنت الوحيد الذي يمكنه تحريرنا!.

قبل أن يجيب إسحاق، اهتزت المرايا مرة أخرى وبرزت الكائن المرعب مجددًا. هذه المرة بدا أكبر وأكثر رعبًا من ذي قبل. إسحاق شعر بالرعب يسري في جسده، لكن صوت ليلى من المرآة دفعه إلى التحرك.

-عليك أن تواجهه! هذا هو السبيل الوحيد للخروج من هنا.. أنا سأساعدك قدر استطاعتي!

إسحاق تنهد بقوة ثم تقدم بشجاعة نحو الكائن المرعب، عازمًا على مواجهة مصيره في هذا العالم الغريب للمرايا.

***

في لحظات المواجهة مع الكائن المرعب، شعر إسحاق بصدمة مدوية. فجأة، تبدلت المشهد أمامه وانفصل عن عالم المرايا المشوه.

في مكان ما داخل ذاكرة إسحاق، وجد نفسه مرة أخرى في غرفة طفولته الصغيرة. هناك، وقف طفل صغير بشعر طويل ينظر إليه بعيون خاوية وساكنة.

-أنت لست حرا يا إسحاق،. قال الطفل بصوت حزين. "أنت سجين في ذكرياتك، هذا العالم الغريب للمرايا هو مجرد كابوس من صنع عقلك.

إسحاق شعر بالذهول والحيرة: "اي اللي تقصده؟ إزاي هكون سجين في ذكرياتي؟ما تفهموني في ايه؟؟ "

الطفل تقدم خطوة نحوه وأضاف: "منذ طفولتك، عانيت من إساءات وجروح نفسية عميقة. هذا العالم المشوه للمرايا هو رد فعل عقلك على تلك المعاناة، إنه محاولة منك للهرب من الواقع المؤلم.... أنتَ مريض نفسي يا إسحاق.. أنا هو أنت.

إسحاق حاول استيعاب كل ما يقوله الطفل. إذا كان هذا صحيحًا، إذن كل ما مر به في عالم المرايا لم يكن سوى انعكاس لجراحه الداخلية. وليلى وغيرها من السجناء كانوا مجرد أجزاء من ذاكرته؟؟

مَن ليلىٰ تلك؟ وكيف جاءت في ذاكرته؟ مَن تكون أصلًا؟ هل من المعقول أن تكون حبيبتهُ أو ما شابه؟؟

كل هذه الأسئلة كانت تردد في عقله بصخب شديد.

شعر إسحاق بالحزن والخوف. لقد كان يحاول الهرب من ماضيه المؤلم طوال الوقت، لكنه لم يستطع الهروب بعد. وللخروج من هذا الكابوس، سيكون عليه مواجهة ذكرياته القاسية في النهاية.

-طيب!إزاي أخرج من هنا؟؟ ومعقول چنىٰ تكون مجرد ذكرىٰ من ذكرياتي؟ " سأل إسحاق بصوت متردد.

الطفل ابتسم بحزن وأجاب:-عليك أن تواجه ماضيك بشجاعة، فقط عندها ستتمكن من الحرية والشفاء.... ثم إن چنىٰ هذه كانت لُعبتك ومَن أعطاها لك كانت مراهقة انتحرت بعدها..و اسم چنىٰ هذه هو اسم أمك أصلًا، تلك المرأة التي جعلتنا نعاني. "

إسحاق شعر بالخوف والقلق، لكن عزمه تصلب إنه مستعد للمضي قدمًا والمواجهة النهائية مع ماضيه المؤلم.

ولكنه انصدم وبشدة وتساءل بتوتر: "خليتنا نعاني إزاي؟؟"

شدد الطفل على اللعبة وأشار نحو المرآه وقال بصوت يتردد صداه بشكل مخيف:

-انظر للخلف وشاهد...

***

مع كل كلمة نطقها الطفل الغامض، شعر إسحاق بالصدمة تتسلل إلى أعماقه. كانت تلك الكلمات كالصاعقة، تكشف له حقائق مؤلمة عن طفولته البائسة التي حاول دفنها في أعماق ذاكرته.

-وحدة... سخرية الأصدقاء... معاملة قاسية من والدي"، همس إسحاق، وهو ينظر إلى الطفل بذهول. "كيف عرفت كل هذا؟"

الطفل تقدم خطوة أخرى، ونظر إليه بعيون حزينة وساكنة. "لأنني جزء منك، إسحاق. أنا الطفل المنبوذ والمعذب في داخلك، الذي عاش في ظل القسوة والرفض."

إسحاق أحس كأن قلبه ينخلع. تذكر الأيام المظلمة في طفولته، حين كان والده يصرخ عليه ويتهمه بسبب وجوده في حياة والدته المنهكة، تذكر كيف كان يشعر بالوحدة والعار أمام سخرية زملائه في المدرسة.

-لا... لا مستحيل دي تكون الحقيقة،أهلي هيعاملوني وِحش ليه؟؟" هتف إسحاق، وهو يحاول إنكار الحقيقة المؤلمة التي يكشفها له الطفل.

"هذه هي حقيقتك، إسحاق،" قال الطفل بحزن. "هذا الألم والرفض هو ما أوجد هذا العالم المشوه للمرايا. لقد هربت إليه هربًا من المأساة الحقيقية لطفولتك... جسدك الأصلي في غيبوبة منذ ثلاث أعوام.. أنت

سجين في كابوسك.. ولن تنهض من الغيبوبة قبل أن تتقبل حقيقتك... أنك مريض نفسي فقط!!. "

إسحاق شعر بدموع الألم تنهمر من عينيه. لم يكن قادرًا على تحمل هذه الحقيقة المرة. كل ما مر به في عالم المرايا كان انعكاسًا لجراحه النفسية العميقة.

-إزاي..إزاي أتخلص من الكابوس ده؟" سأل إسحاق بيأس. "كيف أواجه ذكرياتي المؤلمة؟"

الطفل ابتسم بحزن وأجاب: "عليك أن تجد الشجاعة لمواجهة ماضيك. فقط عندها ستتمكن من الشفاء والتحرر."

إسحاق شعر بالخوف والقلق، لكن عزمه بدأ يتحول إلى إصرار. لقد حان الوقت لمواجهة حقيقة طفولته البائسة، والبدء في عملية الشفاء والتحرر...

ثم قال الطفل بصوت بارد كالثلج: "وداعًا... أتمنى ألا نلتقِ، وأنك حللت عقدك النفسية.. دعنا ننفصل كُليًا... عِش حياتك.. ولا تُفكر بالذكريات السلبية."

واختفىٰ بعدها كالدخان.. ركض إسحاق تجاه الباب الذي اختفى خلفه الطفل وصرخ ببكاء:

-كيف؟؟ كيف؟؟ أنا لستُ سيئا ليحدث لي ذلك... لماذا... أنا خائف..."

***

أحيانًا تتفتح ذاكرتنا كجرح مفتوح، تنساب منها الذكريات المؤلمة كنزيف حار يخترق روحنا. تلك الأشباح التي اختبأت خلف أبواب الماضي، تنهض من جديد لتُطَاردنا، وكأن الزمن قد توقف ليعيد عرض أشرطة الأيام السوداء.

كوابيسٌ تتشكل من خيوط الندم والخوف والانكسار، تنسج لنا أغطية من الظلام تخنق أنفاسنا، أصوات الصراخ المكتومة، والدموع المكبوتة، والجراح المعلنة، كلها تتلاقى لتؤلف سيمفونية الألم في أعماقنا.

نحن نحاول اليأس أن نفر من تلك الأشباح، لكنها تلتصق بنا كظل لا يفارقنا. تطاردنا في كل ركن، وتغزو أحلامنا في كل ليلة، لتحولها إلى مشهد مروع من الرعب والخوف.

وكأن الماضي قد أصبح كياناً مستقلاً عنا، يتجسد في صور مخيفة تتربص بنا، لتنهش في أوصالنا حتى تستنزف آخر قطرة من إنسانيتنا. إنها الأشباح التي لا تنام، والجراح التي لا تندمل، والذكريات التي لا تموت.

لكن هناك مخرج وحيد، إذا وجدنا الشجاعة لمواجهة تلك الأشباح واستدعاء شهودها. فقط عندها ستبدأ الشفاء، وستتحول الكوابيس إلى ذكريات تبعث على الحكمة والقوة.

***

الفصل السابع: مواجهة الكابوس.

أغمض عينيه ودموعه تتدفق بشدة من عينيه، يشعر بالوحدة ثانيةً ذات معذب ومجروح

لقد انفتحت جراحه ثانيةً دون وجود العلاج، متذكرًا آخر وداع بينه وبين ذاته الصغيرة..

أومأ الطفل بإشفاق، وأكمل حديثه بصوت خافت:

-لا يكفي مجرد مواجهة الماضي، إسحاق، عليك أن تتعمق في جذوره المؤلمة، وتواجه الخوف والكراهية التي تغذيت بها نفسك عبر السنين، فقط عندما تتمكن من استئصال هذه الجذور السامة، ستتحرر حقًا من عبء طفولتك المعذبة.

ارتعش إسحاق عند هذه الكلمات، كان يشعر وكأن الطفل يقرأ أعماق نفسه، كاشفًا له حقائق مؤلمة لم يكن يرغب في مواجهتها.

-لكن كيف أفعل ذلك؟ كيف أستطيع استئصال آلام الماضي وتحرير نفسي منها؟" سأل إسحاق بقلق.

الطفل رفع يده وأشار إلى عالم المرايا المشوه خلفهما.

-هذا العالم هو مرآتك المشوهة للواقع، فيه ستجد المفتاح؛ لتحرير نفسك، عليك أن تتعمق في أعماق هذا العالم، وتواجه كل جزء منه بشجاعة، ستجد أنه ليس سوى انعكاس لجراحك النفسية التي لطالما هربت منها."

ارتعد إسحاق وهو يستوعب ما يقوله الطفل. كان عليه إذن أن يخوض رحلة إلى أعماق عالم المرايا المظلم، ويواجه كل جزء منه بشجاعة. لكن كيف سيفعل ذلك؟

-إنها مهمة مخيفة للغاية. لا أعرف إن كنت سأتمكن من المضي قدمًا في هذا الطريق," همس إسحاق بخوف.

الطفل ابتسم بحزن وقال: "لا تخف، إسحاق! أنا أعلم أنك ستجد القوة والشجاعة اللازمتين. فأنت لست وحيدًا في هذه المعركة. سأكون هناك لأرشدك وأساندك...لكن وقتها سأختفي"

ورفع الطفل يده ليضع إصبعه على جبين إسحاق. في تلك اللحظة، شعر إسحاق بموجة من الدفء والقوة تغمره، كأنما الطفل ينقل إليه طاقته ومعرفته:

-اذهب الآن، إسحاق. انطلق في هذه الرحلة الصعبة، وأنا على يقين بأنك ستنتصر في النهاية فلتثبت للجميع أنَّ كل إنسان يجب أن يعيش دون أن

يشعر بالدونية أو النقص،خلقنا جميعا من نفس الطين ولكن الجواهر تختلف من شخص لآخر... ."

ثم اختفى الطفل، تاركًا إسحاق وحيدًا أمام عالم المرايا المشوه

***

عاد من ذكرياته وهو يحاول لملمة شتات نفسه بكل ما أُوتي من قوة.. تنفس بعُمق، وشعر بالعزم ينتشر في أعماقه، لقد حان الوقت لمواجهة ماضيه والتحرر من قيوده، بخطوات ثابتة، دخل إسحاق إلى عالم المرايا، مُصمما على إنهاء هذا الكابوس إلى الأبد.

مع دخول إسحاق إلى عالم المرايا المشوه، بدأ يستكشف هذا الواقع المظلم والمليء بالرموز المؤلمة. كل مرآة كانت تعكس جانبًا من جوانب ماضيه المؤلم والمحبط. هناك المرآة التي تعكس صورة طفولته المهملة والمحرومة من الحب والدفء العائلي. وبجانبها مرآة أخرى تبرز الشعور بالنبذ والوحدة الذي عاناه.

"أنا مش وحش يا بابا... أنا طيب"

"أنتَ كارثة في حياتي... لو كنت ميت أو مش موجود كان زماني حرة دلوقتي، مش مربوطة بأبوك علشان متتأثرش بطلاقنا"

"أنتَ عار علىٰ أبوك وأمك.. طفل فاشل دراسيًا واجتماعيا"

"آسف جدًا يا أستاذ إسحاق، بس في مُتقدمين للوظيفة الـ CV تبعهم أفضل من بتاعك، نعتذر ليك، حظ موفق مع شركة أخرىٰ."

"آسفه يا إسحاق بس بابا مش موافق علىٰ جوازي منك... ربنا يسعدك مع اللي تسعدك"

"لو انتحرت ومُت كل كوابيسي هتنتهي.. الفشل هيموت معايا... وأبويا هيبطل يضربني، أنا مش مذنب علشان أتعاقب... أمي هتبطل تبكي كل ما تشوفني... انا مستحقش أعيش"

إسحاق شعر بألم شديد وهو يواجه هذه الصور المؤلمة لماضيه وتلك الأحاديث التي تنهال عليه دون أدنىٰ رحمة. كان يريد الهرب، لكن تذكر كلمات الطفل وصمم على المضي قدمًا. ببطء وحذر، بدأ يتفحص كل مرآة، متأمِّلا في القصص المؤلمة التي تعكسها.

عندما وصل إلى مرآة تعكس غضبه وكراهيته التي استشرت في داخله عبر السنين، شعر بالغصة تختنق حلقه. كان الشعور بالظلم والرغبة في الانتقام قد تبلور فيه إلى درجة الجنون. ولكن هذه المرآة كشفت له أيضًا كيف أن هذا الشعور قد أصبح سامًا ومدمرًا له هو نفسه.

إسحاق أغمض عينيه للحظات، وتنفس بعمق. ثم بدأ يتأمل في هذه المرآة بكل شجاعة، متخلصًا شيئًا فشيئًا من قبضة هذه المشاعر السامة. كان يعلم أن هذه المواجهة ستكون مؤلمة، ولكنها ضرورية إذا أراد أن يتحرر حقًا.

بعد ساعات طويلة من التأمل والمواجهة المؤلمة لكل جزء من ماضيه المشوه، شعر إسحاق وكأنما ثقل عبء كان يرزح تحته قد بدأ يخف شيئًا فشيئًا. في عالم المرايا المظلم، وجد إسحاق القوة لاستئصال الجذور السامة التي كانت تغذي آلامه النفسية.

-لا تحاول؛ لأنني وحدي المتحكم.

التفت بسرعة نحو الصوت ليتفاجئ، يرىٰ شاب طبق الأصل منه.. بشعر طويل يغطي وجهه ماعظا عينه اليسرى، هزيل الجسد، نظراته خاوية وباردة، وخالية من أي تعبير..

يرتدي ملابس بيضاء تدل علىٰ أنه مريض لمستشفى ما... لحظة... هذا ثياب مرضىٰ مستشفى الأمراض العقلية والنفسية..

نعم... إنه جسد إسحاق الحقيقي... وذاته السامة مَن تتحدث.

فقال إسحاق بصدمة وحزن:

-أنتَ عارف إن دي حقيقتك... أو حقيقتنا، ليه مُصّر ترفض تقبلها؟؟؟

-علشان دي حقيقه سامة، وأنا مش هتقبلها.. لأن مجرد جزء أسوأ من ذكرياتي... خليك مندمج مع الكوابيس إللي جوانا ومتحاولش تواجهها؛ علشان الوحيد اللي هيتأذىٰ هو أنتَ، جسمي خلاص اعتاد علىٰ الضرب العنيف من الممرضين، والأدوية السامة من الدكاترة، ونظرات الناس المليانة حقارة واستهزاء.. زي منا تعودت.. أنتَ لازم تعتاد.

-مش هعتاد!!!

صرخ بها إسحاق في انفعال، ولكن جسده وذاته السامة اطلقت ضحكة ساخرة مستهزئة مع رنين مخيف كصوت الرعد في ليلة عاصفة.

- يبقىٰ متزعلش من إللي هيجرىٰ لك.

شعر إسحاق بتشنج قد سيطر علىٰ جزء في جسده، برزت عروقه تدل علىٰ مدى الألم الذي تعرض له في لحظة خداع.

وقالت ذاته بشر وعينين متسعتين من شدة الإستمتاع كالمجنون تمامًا:

- أرأيت؟فلتعرف أنني المُتحكم هنا وليس أنتَ.. انظر حولك جيدًا أيها الوغد السخيف.

مع مرآة أخرى، ظهرت صورة حزينة لطفولته المحرومة من الحب والرعاية. صورة لطفل وحيد، يلعب بمفرده في زاوية غامضة، بينما والداه منهمكان في شجارات دائرية لا تنتهي.

إسحاق شعر وكأن قلبه ينزف عند رؤية هذه الصورة المؤلمة. لقد كان وحيدًا طوال طفولته، محرومًا من الدفء العاطفي الذي يحتاج إليه كل طفل. هذا الحرمان ترك بصماته العميقة على نفسيته، مما جعله يشعر بالنبذ والشعور بعدم الكفاءة.

ببطء وتأمل عميق، بدأ إسحاق يتفحص هذه الصورة، متخلصًا من الألم والحزن المكبوت الذي طالما عاناه، وجد نفسه يشفق على ذلك الطفل المهمل، ويتمنى لو كان بإمكانه الذهاب إليه والتحدث إليه، وإخباره بأن كل سيكون على ما يرام.

فجأة، شعر إسحاق بموجة من التعاطف والمحبة تغمره تجاه ذلك الطفل المنبوذ... تجاه نفسه بالتأكيد!!

وكأنما كان يُعانق ذلك الجزء المنسي من نفسه، والذي احتاج دائمًا إلى العناية والدفء.

في هذه اللحظة، شعر بأنه قد تحرر جزئيًا من قبضة الحرمان والوحدة التي كبلته لسنوات.

أغمض إسحاق عينيه مرة أخرى، وسمح للدموع أن تنهمر بحُرية دون أية قيود، كان هذا التحرر العاطفي ألمًا ولكنه أيضًا شعور بالراحة والشفاء، وعد نفسه أنه من هذه اللحظة فصاعدًا، سيكون أكثر رحمة وتعاطفًا مع ذاته ومع الآخرين.

وقال بصوتٍ باكي مليء بالأمل :

- ولكن هذا لا يمنع أن هناك ما زالت فرصة؛ لأعيش كما يجب ...

***

فداخلنا صراع مؤلم بين الظلّ والنور، بين ما نريد أن نكون وما نخاف أن نكون. ونحاول جاهدين إخفاء هذه الجوانب المظلمة، لكنها تلاحقنا كأشباح لا نستطيع التخلص منها.

لماذا نكابر ونخفي ما نحن عليه؟ لماذا لا نجرؤ على مواجهة أنفسنا بصدق وشجاعة؟ ربما هناك أمل في التطهر والتحرر، لكن ذلك لن يتأتى إلا بقبول ما بداخلنا، والسعي لإصلاحه بدلاً من إنكاره وإخفائه.

فلنكن شجعان ولا نخاف من الاعتراف بجوانبنا المظلمة فقط بذلك نستطيع أن نتخطاها، ونصل إلى نور الشفاء والتجدد.

الفصل الثامن: مجرد كابوس من الذاكرة.

إسحاق شعر بصراع داخلي عميق بين جسده الذي أصبح متسلطًا عليه والشخص الذي كان يريد أن يكون.

من جانب، كانت ذاته السامة ملآى بالذكريات المؤلمة والمشاعر السلبية التي طالما استحوذت على تفكيره. هذه الذات الداخلية كانت كعبء ثقيل على كاهله، تسكنه وتمنعه من التقدم والتحرر.

وفي الجانب الآخر، كان إسحاق مصممًا على ترك الماضي خلفه والتركيز على البناء والنمو. كان يريد أن يتخلص من قيود هذه الذات المتسلطة والتي حرمته من العيش بحرية.

وقف الرجل في مفترق الطرق، يحتدم الصراع داخله. من جهة، رغبة الذات السامة في البقاء والسيطرة. ومن الجهة الأخرى، عزيمة إسحاق وإرادته القوية في أن يشق طريقه نحو حياة جديدة، بعيدًا عن آثار الماضي المؤلم.

كان لا بد من حسم هذا الصراع الداخلي، إما أن يترك إسحاق ذاته السامة تهيمن عليه وتسجنه في دائرة مفرغة من الألم والندم، أو أن يستجمع كل قوته ليتحرر منها ويبدأ صفحة جديدة في حياته.

***

إسحاق وقف متأملاً، عينيه متسعتين ببهت، داخله، عاصفة من الذكريات والمشاعر السلبية تعصف به، كأنها جثمان ضخم يضغط على صدره ويخنقه.

تلك الذات السامة، المليئة بالألم والندم، راحت تهمس في أذنه:

-أنا جزء منك لا يمكنك التخلص منّي. ماضيك ثقيل عليك، وسيظل يُلاحقك أينما ذهبت. لن تستطيع الهروب مني أبدًا.

إسحاق أغمض عينيه بقوة، وشعر بأنه على وشك الانهيار، ثم فتحهما ببطء، وعلى وجهه عزم لا يُلين:

-كلا، لن أسمح لك بالسيطرة علي هذه المرة. أنا من سيقرر مصيري من الآن فصاعدًا.

بخطوات ثابتة، اقترب إسحاق من ذاته السامة في عينيه لمعان الصمود والإصرار:

-لقد طال أمد سجنك لي في هذه الدوامة من الألم والأسى، آن الأوان لأن أتحرر منك وأبدأ حياة جديدة.

ذاته السامة ارتعدت قليلاً، وراحت تتراجع أمام عزيمة إسحاق المتصاعدة:

-لن تستطيع! أنا جزء منك لا يمكنك فصله، سأظل هنا داخلك، أؤرقك وأنهكك.

إسحاق مد يده وحزم بها جسد ذاته السامة برفق:

-بلى أستطيع. لقد حان الوقت لأودّعك، ماضي، ستبقى جزءًا منّي، ولكن لن تتحكم فيّ بعد الآن.

ببطء، بدأ إسحاق يدفع ذاته السامة بعيدًا عنه، مع كل دفعة تشعر تلك الذات بالضعف والارتداد، وفي النهاية، انفصلت عنه تمامًا، تاركة وراءها صرخات الاحتجاج والاستسلام.

إسحاق وقف وحيدًا، مرتاحًا إلى أن تخلص من ثقل الماضي، ابتسم بارتياح، وهو يشعر بحرية لم يذق مثلها من قبل. الآن كان جاهزًا لبدء رحلة جديدة.

***

تنهَّد إسحاق بعمق، وهو يشاهد طفولته المنسية تومض أمامه كذكرى باهتة. تتلاطم في داخله مشاعر متناقضة - الندم والألم والحزن مختلطة بذرة أمل صغيرة تُنبت في صدره.

رأى ذلك الطفل الصغير يبتسم له بحنان من بعيد، ويلوح بيده وداعًا، دمعت عينا إسحاق بفرح مختلط بوخز الحسرة، سمع صوت ذلك الطفل الهامس:

-"عش حياتك جيدًا".

اقترب منه إسحاق بخطىٰ متثاقلة ودموعه تتناثر مع رياح الحزن واحتضن نفسه الصغيرة وهمس بصوت مختنق من البُكاء والفرحة:

- اسلقُ نفسي بماءٍ حارٍّ، أسكبُ البوح على جدران الذّات المتهدّمة. أتسابقُ مع وجعٍ لا ينتهي، أرتشفُ من كأسٍ مليئةٍ بالأوجاع والكبت، بين ضلوعي، تحتضرُ قطعةٌ من الحياة، تتقلّصُ كقلبٍ مشوب بالذُّعر. أشبهُ بطائرٍ مصاب، أرفرفُ بأجنحةٍ محطّمة في سماء نفسي العنيدة.

أمسكُ بحنجرتي الجريحة، أفتشُ عن صوتٍ يعلو فوق صرخات الروح المتوجّعة. لكن أنّى لي أن أجد لحناً طاهراً في وَسَطِ هذا الجَوِّ الحبيس المُقَيَّد.

فأنا مريضٌ نفسيٌّ، أضِرعُ إلى ذاتي للتحرّر من سجونِها المؤلمة، فليس أمامي سوى مواجهةِ نفسي، قبل أنْ أطلبَ من الآخرين أنْ يعاينوا جُرحي... أعدُك أنني سأعيش حياتي كما يجب.

رفع الصغير يديه ببطئ واحتضنه هو الآخر وابتسم بسعادة وهمس:

-وداعًا... إسحاق...

***

دخلت الممرضة غرفة إسحاق بخطوات هادئة ومتأنية، حاملةً طينيةً من الأدوية التي كان سيحتاجها. ملاحظاتها الدقيقة لحالته النفسية جعلتها تلحظ بسرعة أنه كان جالسًا بمفرده على سريره، غائبًا بنظره عن محيطه، وكأن همومه قد استحوذت على تفكيره تمامًا.

سألته الممرضة بصوت لطيف ومفعم بالرعاية، محاولةً استرعاء انتباهه بلطف:

-أخبارك إيه النهاردة يا إسحاق؟

رفع إسحاق رأسه ببطء وهدوء، ابتسم ابتسامةً حزينة ومنكسرة:

-أنا بخير.. بس عاوزة أسألك عن والديّ مافيش أخبار عنهم؟" سأل بصوت خافت، وعيناه تنم عن قلق داخلي عميق.

شعرت الممرضة وكأن قلبها ينخلع، كيف ستخبره بأن والديه تخلوا عنه وتركوه هنا في هذا المستشفى؟ ستكسر قلبه المُنكسر بالفعل، لكنها لا يمكن أن تكذب عليه أو تخفي الحقيقة عنه.

-إسحاق..

بدأت بحذر وتروٍ، وهي تحاول إعداده نفسيًا لما سيسمعه:

-والديك...هما مقدروش يجوا هنا، سابوك هنا ومشيوا.

إسحاق لم يرد بكلمة واحدة، بدلاً من ذلك، ابتسم ابتسامةً حزينة وممتلئة بالفهم والتقبل لما حدث، عيناه الحزينتان الواسعتان تعبران عن كل ما في داخله من ألم وحزن وفهم لموقف والديه.

شعرت الممرضة بالأسى والحزن وهي ترى هذا الشاب الصغير الذي أُهمل من قبل أحبائه. لكنها أدركت أن إسحاق قد تقبل ذلك بشجاعة ورضا. قررت أن تحاول جاهدةً مساعدته على المضي قدمًا في رحلة شفائه النفسي والجسدي.

تنهد بثقل يثقل كاهله وقلبه ولكنه تقبل حقيقة الأمر وأومأ لها برأسه في صمت دون أن يعلّق، فنبس بتساؤل:

-إمتى هخرج من هنا؟؟

-أمهلني دقايق هنادي الدكتور..

أومأ برأسه، لتخرج تاركةً إياه لوحده غارق في تفاصيل تفكيره، لم يستوعب أن كل هذا كان مجرد صراع داخله وداخل عقله... كل هذه الشخصيات نسجها عقله كتزييف للواقع....

ولكنه أدرك الآن أن المعركة التي خاضها كانت دائمًا داخله وحده. هو المريض النفسي الذي احتاج لمواجهة جوانب ذاته المظلمة أولاً قبل أن يطلب من الآخرين مواجهة جرحه. وها هو الآن، يتطلع إلى المستقبل بعينين جديدتين، مملوءتين بالندم والعزم الراسخ على التغيير والشفاء.

تأمل إسحاق بشرود من خلال النافذة، ملاحظاً المناظر الخضراء الجميلة التي تحيط بالمستشفى. ومع ذلك، كان يشعر بحضور ما يُقلقه في الخلفية.

فجأة، لمح ظلاً مظلمًا وخبيثًا خلف إحدى الأشجار. تأمله بحذر، ليكتشف أنه صورة أخرى له - صورة مشوهة لذاته السامة، المُحملة بالذكريات المؤلمة والمشاعر السلبية المكبوتة.

وقفت هذه الصورة المرعبة في صمت، وابتسمت ابتسامة مليئة بالشر والاستهزاء. إسحاق ارتعش رعبًا، وشعر وكأن هذه الصورة تراقبه وتسخر منه بهدوء.

تسارعت نبضات قلبه، وأحس بالغصة تختنق حلقه. لم يستطع التحرر من هذا الحضور المظلم والمُرعب. كان يعرف أن هذه الصورة تمثل جزءًا منه لا يستطيع إنكاره أو التخلص منه بسهولة.

في هذه اللحظة، شعر إسحاق بثقل الماضي الذي لا يزال يثقل كاهله. لكن كان هناك أيضًا شرارة أمل تلوح في أعماق نفسه - أمل في التحرر من هذا الجزء المظلم، والتطهر من الآثار المؤلمة للماضي.

ترنّحت أقدام إسحاق، وهو يُحاول الابتعاد عن ذلك المنظر المرعب. لكن تلك الصورة السوداء كانت تلاحقه، تحوم من حوله كطائر جارح. تسارعت أنفاسه وارتعشت يداه، وشعر وكأنّ قلبه سيخرج من صدره في أي لحظة.

-لا! اختفِ من أمامي!

صرخ إسحاق بيأس، لكن الصورة ظلت ساكنةً في مكانها، تبتسم ابتسامةً مليئةً بالسخرية والاستهزاء.

-ما تراه ليس سوى نعكاس لما بداخلك.

همست الصورة بصوت خبيث:

-لا تستطيع الهرب منه، مهما حاولت.

إسحاق هوى على ركبتيه، وأخفى وجهه بين راحتيه. لم يعد قادرًا على مواجهة ذلك الجزء المظلم من ذاته، انهارت دموعه بغزارة، وشعر بالخزي والعجز.

ويبقى هنا السؤال !!

إذا كانت جنى اسم والدة إسحاق، فمن تكون عزيزة تلك التي تحدثت عنها الساحرة هند بنت جابر؟!

***

ونكتشف في النهاية "أننا مجرد مرضى نفسييون.. نحتاج لمواجهة أنفُسنا قبل الآخرين".

في نهاية المطاف، ها قد وصلنا إلى الحقيقة المرّة:

نحن مجرد مرضى نفسيّون، نتمسّك بأوهام الصحّة والقوّة.

تلك الأقنعة التي ارتديناها لسنوات طوال،

قد سقطت الآن عن وجوهنا المنكسرة.

وتبدّلت مكابرتنا إلى اعتراف مرير:

نحن ضحايا مرضانا، وسجناء أنفسنا المتوّهجة.

بعد كلّ محاولاتنا البائسة لإخفاء جراحنا الداخليّة،

ها نحن نكتشف أننا لم نكن سوى مرآة لضعفنا.

كم كنّا نخاف من مواجهة أنفسنا،

لدرجة أننا آثرنا إلقاء تلك الأعباء على الآخرين.

لكن في النهاية، لم يعد لنا خيار سوى الاعتراف:

نحن مرضى، بحاجة إلى علاج وشفاء.

تمت بحمد الله..

التعريف بالكاتبة

ايلول فهمي (آيو)، كاتبة روائية لدىٰ منصات إلكترونية من مواليد 2005، من الدقهلية. من أعمالها:

- عيون تخشىٰ اللقاء وهي قيد النشر
- كابوس من الذاكرة

كابوس من الذاكرة

أيلول فهمي